## المحاضرة الثامنة: مجالات علم الاجتماع:

### علم اجتماع التنظيم:

بعد الانتشار الواسع للتنظيمات وارتباطها ارتباطا وطيدا بحياة الإنسان، صار من الضروري دراسة تأثيرها وتأثرها بالمجتمع، وهو ما أوجد الحاجة لبروز علم أكثر شمولا من علم اجتماع المصنع، الذي كان يهتم بشكل واحد من أشكال التنظيم، والاهتمام بكافة أشكال التنظيمات الموجودة في المجتمع: ثقافية، تربوية، سياسية، اقتصادية، دينية... وهو علم اجتماع التنظيم

**I- تعريفه:** " هو العلم الذي يدرس العوامل الاجتماعية والتفاعلية، ويهتم بالعلاقات الإنسانة والصناعية وبالتنظيم الرسمي وغير الرسمي داخل المنظمات الموجودة في المجتمع."[1]

" يعتبر علم الاجتماع التنظيمي أحد فروع علم الاجتماع الذي يهتم بدراسة وفهم التنظيمات الاقتصادية (الإنتاجية والتجارية والخدمية) وتنظيمات المجتمع المدني غير الهادفة للربح ( نقابات، الأندية، الأحزاب السياسية والجمعيات الأهلية) بأشكالها المختلفة وأحجامها المتباينة."[2]

**ويمكن** النظر إلى التنظيم من زاويتين: من حيث الشكل ومن حيث المضمون أو الوظيفة

من ناحية الشكل: يعني الجماعات والإدارات والأقسام التي يعمل بها الناس، والعلاقات التي تنظم أعمالهم بطريقة منسقة ليصلوا إلى هدف محدد.

من ناحية المضمون: هو عملية جمع الناس في منظمة ( مؤسسة) وتقسيم العمل فيما بينهم وتوزيع الأدوار عليهم حسب قدراتهم والتنسيق بين جهودهم.[3]

ويعرفه تالكوت بارسونز بأنه: " عبارة عن وحدات اجتماعية تقام وفق نموذج بنائي معين لكي تحقق أهداف محددة."[4]

وقد عرفه هنري فايول بأنه: " وظيفة تشمل جميع الأنشطة التي يقوم لها المدير من ناحية ترتيب الموارد الإقتصادية وتجميعها لتحقيق الأهداف بأقل التكاليف."[5]

**II- نشأته**[6]: يجمع الباحثون والمشتغلون في هذا الحقل على صعوبة التحديد الدقيق لتاريخ نشأة هذا الميدان من علم الاجتماع، ويرجعون ارتباط نشأته ارتباطا وثيقا بعلم الاجتماع الصناعي، باعتبار المصنع أول التنظيمات التي درست دراسة سوسيولوجية، وأكثرها انتشارا آنذاك.

---

[1]- أحمد الأصفر أدب عقيل، **علم اجتماع التنظيم ومشكلات المجتمع**، 2002، ص20.
[2]- اعتماد محمد علام وجلال اسماعيل حلمي، **علم اجتماع التنظيم: مداخل نظرية ودراسات ميدانية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2013، ص–ص: 12-13.
[3]- طلعت إبراهيم لطفي، **علم اجتماع التنظيم**، دار غريب، القاهرة، 2007، ص 22.
[4]- السيد الحسيني، **النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم**، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص75.
[5]- حمدي فؤاد علي، **التنظيم والإدارة الحديثة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 35.
[6]- حسين عبد الحميد رشوان، **علم اجتماع التنظيم**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 39.
- محمد علي محمد، **دراسة في علم اجتماع التنظيم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1979، ص –ص: 462-463.
- طلعت إبراهيم لطفي، **مرجع سبق ذكره**، 2007، ص 17- ص19.

فبفعل عمليات التحضر والتصنيع واتساع مجالاتها، ساهم العديد من المختصين في إثراء البحث في مجال التنظيمات، بدءً بأعمال تايلور ومايو– سالفة الذكر، وهو ما لفت الإنتباه لتطبيق نتائجها على تنظيمات مختلفة غير المصنع، فشملت الدراسات مجالات المنجم، الإدارة، التجارة، التربية، المستشفيات، السجون... وقد ترتب عن تراكم الدراسات والبحوث في هذه التنظيمات ظهور ميدان من علم الاجتماع متخصص في دراسة التنظيمات بشتى أنواعها وهو علم اجتماع التنظيم.

**III- نظريات علم اجتماع التنظيم:** لقد كانت نظريات علم الاجتماع الصناعي الأساس الذي تفرعت منه نظريات التنظيم فيما بعد، على اعتبار أن المصنع أول أشكال التنظيم دراسة من طرف علماء الاجتماع. وأهم ما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال:

**النظريات الكلاسيكية:** يمكن القول أن هذه النظريات تشمل نظريات علم الاجتماع الصناعي (الإدارة العلمية) وما تبعها، وكذلك بعض النظريات التي أجريت خارج المصنع في تنظيمات متعددة التكوين الإداري عند هنري فايول Henri Fayol 1916، النموذج المثالي البيروقراطي لماكس فيبرMax Webe ، من أهم خصائص هذه النظريات:

- التركيز على العمل لا على العامل.
- النظرة المثالية، بوصفها ما يجب أن يكون لا ما هو كائن فعلا.
- افتراض الرشد في كافة أعضاء التنظيم، لذلك سميت النظريات الرشيدة.
- اعتبار العامل معطى تنظيمي، بمعنى أنه لا يؤثر في السلوك التنظيمي.
- درست التنظيم على أنه نسق مغلق، أي منعزل عن البيئة التي يعمل فيها.
- التأكيد على دراسة التنظيم الرسمي
- التحفيز المادي فقط.
- الرقابة عقابية.
- الهيكل التنظيمي هرمي، وما يرافق ذلك من طبيعة السلطة والإتصالات والعلاقات

**النظريات النيوكلاسيكية: أهمها:**

- مدرسة العلاقات الإنسانية لإلتون مايو وزملاؤه. 1927-1932
- الفلسفة الإدارية لماكغريغور دوغلاس1954.
- نظرية التفاعل لويليام فوت وايت 1959.
- هرم الحاجات لأبراهام ماسلو1964.

وأهم مبادئها:

- التنظيم ليس مركبا ماديا فحسب، بل هناك العامل البشري والإنساني.

- النظر للعامل باعتباره كائنا إجتماعيا له حاجاته ورغباته ويوله.
- الإهتمام بدراسة التنظيمات غير الرسمية.
- العامل يحفز معنويا أولا ثم ماديا.
- الهيكل التنظيمي أفقي، وما يرافق ذلك من طبيعة السلطة الإتصالات والعلاقات.
- الرقابة تصحيحية وتوجيهية.
- يمكن للعامل أن يؤثر في السلوك التنظيمي عن طريق آرائه أفكاره وسلوكاته.

**النظريات الحديثة:** لقد دأبت النظريات الكلاسيكية وحتى مدرسة العلاقات الإنسانية على دراسة التنظيم ( بما فيه المصنع) دراسة داخلية، مهملة بذلك تأثير البيئة الخارجية على العمل والعامل داخل التنظيم. ولقد جاءت النظريات الحديثة لتعطي الأهمية لأثر المتغيرات البيئية على العملة التنظيمية، وأهمها: مدرسة الأنساق المفتوحة عند Ludwig Von Bertalanffy ( 1901- 1972)، المدرسة اليابانية في الإدارة، المدرسة الموقفية، مدرسة التطوير التنظيمي،إدارة الجودة الشاملة.[7]

**أهم مبادئها:**

- التنظيم عبارة عن نسق اجتماعي.
- للنسق الإجتماعي حدود تميزه ولا تفصله عن بقية الأنساق.
- كل نسق يعتمد في بقائه ونموه على البيئة التي يعمل فيها.
- كل نسق يؤثر في البيئة التي يعمل فيها.
- الرشد والتعقل أمران نسبيان، يتحددان حسب المواقف المختلفة.

## V - المواضيع التي يدرسها علم اجتماع التنظيم:

- الأهداف والغايات التي وجدت من أجلها التنظيمات.
- إدارة البيئة الداخلة والخارجية للتنظيم.
- الهيكل التنظيمي، حجم التنظيم ودورة حياته.
- الصراع التنظيمي، التكنولوجيا في التنظيم، الثقافة التنظيمية.
- إدارة التغير والتطوير التنظيمي، إدارة الإبداع التنظيمي، إدارة الوقت.
- العمليات التنظيمية : التوظيف، الرقابة، التحفيز، الاتصالات، اتخاذ القرارات....

**علم اجتماع التربية**

[7] - J.F Soutenain et P. Farcet, Organisation et gestion de l entreprise, Foucher , Paris, 2006, p67- p69

كانت التربية ولا تزال من أهم المواضيع التي تدارسها علماء الاجتماع الأوائل، كيف لا وقد ربطها دوركايم بالمجتمع ربطا دقيقا في كتابه: التربية والمجتمع. ونظرا لأهميتها كنسق فاعل في البناء الكلي للمجتمع، فقد برز ميدان من ميادين علم الإجتماع يتخذ من التربية والفعل التربوي موضوعا محوريا لاهتماماته ودراساته وهو علم اجتماع التربية.

**أولا: تعريف علم اجتماع التربية:**

" علم الاجتماع التربوي هو العلم الذي ينظر إلى المدرسة وغيرها من المؤسسات التربوية كمؤسسات اجتماعية داخل البناء الاجتماعي العام تؤدي دورها الوظيفي داخله وتسهم بدور إيجابي في تقدمه وتطوره."[8]

" يرى ألوود أن علم الاجتماع التربوي هو العلم الذي يهدف إلى إبراز الاتصالات في جميع الحالات بين عملية التعليم والعملية الاجتماعية."[9]

" هو العلم الذي يقوم بالتحليل العلمي للعمليات والأنماط الاجتماعية الداخلة في النسق التربوي، باعتبار أن التربية تركيبة من الأفعال الاجتماعية."[10]

" هو العلم الذي يدرس الإنسان حينما يدخل في علاقاته مع إنسان آخر، وتعامله الإنساني في الإطار التربوي... فهو العلم الذي يهدف إلى تكوين الخبرة أو المعرفة أو الثقافة، التعليم والتدريب، أي العلاقات التي تتم بين الأفراد في الإطار التربوي."[11]

" هو العلم الذي يدرس أثر العمل التربوي في الحياة الاجتماعية ، ويدرس في الوقت نفسه أثر الحياة الاجتماعية في العمل التربوي."[12]

" هو العلم الذي يدرس الظواهر التربوية في مناحيها المتعددة، وفي إطار تفاعلها مع الواقع الإجتماعي."[13]

**ما هي التربية؟**

" عند أفلاطون: هي أن تضفي على الجسد والنفس كل الجمال والكمال. فهو يرى أن أن الغرض من التربية أن يصبح الفرد عضوا صالحا في المجتمع.

عند إميل دوركايم: هي التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم تتهيأ بعد للمشاركة في الحياة الاجتماعية. فهو يرى أن التربية هي عملية التنشئة الاجتماعية المنظمة للأجيال الصاعدة.

ويرى جون ديوي أن التربية بصفة عامة هي حاصل جميع العمليات والسبل التي ينقل بها مجتمع ما، سواء كان كبيرا أو صغيرا، ثقافته المكتسبة وأهدافه إلى أجياله الجديدة بغرض استمراريته."[14]

---

[8]- معتز الصابوني، **علم الإجتماع التربوي**، دار أسامة، الأردن، 2006، ص33.
[9]- عبد الله بن عايض سالم الثبيتي، **علم اجتماع التربية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002،ص 24.
[10]- المرجع نفسه، ص 25.
[11]- علي الحوات، **أسس علم الإجتماع التربوي**، جامعة الفاتح، ليبيا، 1989، ص 84.
[12]- صلاح الدين شروخ، **مدخل في علم الإجتماع**، دار العلوم، عنابة، 2005، ص 426.
[13]- أحمد علي الحاج محمد، **علم الإجتماع التربوي المعاصر**، دار المسيرة، عمان، 2012، ص 28.

**ثانيا: نشأة علم اجتماع التربية[15]:**

ظهرت البدايات الأولى لعلم الاجتماع التربوي نهاية القرن الثامن عشر، نتيجة التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي فرضت على نظام التعليم مواكبتها بتربية أبناء المجتمع وتنشئتهم للعيش في المجتمع الديمقراطي والإنخراط في أنشطته. وتمثل أعمال جون ديوي ( المدرسة والمجتمع) ودوركايم ( التربية والمجتمع) وماكس فيبر ( الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) المقدمات النظرية لولادة علم الاجتماع التربوي.

ولقد استخدم مصطلح علم الاجتماع التربوي لأول مرة في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك عام 1910، كعلم يدرس في المعاهد العليا على يد البروفيسور هنري سوزالوHenry Sozzallo ليصبح فيما بعد علما مستقلا.

وما أن جاء عام 1914 حتى صار هناك حوالي 16 جامعة أمريكية تدرس مواد علم الاجتماع التربوي. وتأسست الجمعية الوطنية لدراسة علم الإجتماع التربوي التي نشرت 3 كتب خلال الفترة 1923 – 1931، ثم توقفت نشراتها عن الصدور. ومع مرور الأيام صار علماء الاجتماع المهتمين بالتربية يلتقون في اجتماعات سنوية باسم فرع علم الاجتماع التربوي.

ولقد ظل هذا العلم يتأرجح بين الازدهار والتراجع، وذلك باستبدال بعض المؤسسات التربوية من كليات التربية ومعاهد المعلمين تدريس مواد اجتماعية بأسماء أخرى بدلا من علم الاجتماع التربوي.

والحقيقة، أن ظهور علم الاجتماع التربوي لم يأت من فراغ، بل جاء نتيجة عدة عوامل أهمها[16]:

- زيادة اهتمام الحكومات في أمريكا وأوروبا بالتعليم كوسيلة لتقد الفرد والمجتمع.
- ظهور جيل من المتخصصين في علم الاجتماع العام ذي الميول والاتجاهات التربوية، مع رغبتهم في دراسة الظواهر والعمليات والمشكلات التربوية من وجهة نظر علم الاجتماع.
- الزيادة السريعة في كم ونوع المعرفة، ما أدى إلى ظهور فروع كثيرة للمعرفة لم يكن لها وجود من قبل، أو ما يطلق عليه بالعلوم البينية التي نشأت نتيجة العلاقات بين العلوم الرئيسية ( علم الاجتماع وعلوم التربية).
- الزيادة المستمرة في أعداد الجامعات ومراكز البحث في كثير من دول العالم.

هذا، ويمكن تحديد الانطلاقة الفعلية لعلم الاجتماع التربوي كعلم مستقل سنة 1955 على يد " ولبر بروكوفر" ( الولايات المتحدة الأمريكية) الذي أصدر كتابا بعنوان: علم اجتماع التربية.[17]

---

[14]- شبل بدران، **التربية والمجتمع ( رؤية نقدية في المفاهيم القضايا والمشكلات)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009، ص 50- ص52 ( بتصرف)

[15]- إبراهيم ناصر، **علم الإجتماع التربوي**، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص ص: 8 – 9 .
- أحمد علي الحاج محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص –ص: 17- 18.

[16]- محمد حسين العجمي وعلي السيد الحسيني،**علم الإجتماع التربوي: القضايا والمجالات**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008، ص 24.

[17]- أحمد على الحاج محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص –ص: 19 – 20( بتصرف)

**ثالثا:رواد علم الاجتماع التربوي[18]:**

يمكن النظر إلى القاعدة المعرفية لعلم الاجتماع التربوي على أنها تعتمد على أعمال العلامة ابن خلدون ( الفكر العربي)، وأعمال دوركايم ( الفكر الاجتماعي) وأعمال جون ديوي ( الفكر البراغماتي).

**I- عبد الرحمن ابن خلدون:** اعتبر ابن خلدون أن التربية عملية اجتماعية وصنعة من الصنائع التي تتقنها الأمم وتتميز بها. كما قام بمقارنة التربية بين الأقطار العربية وغير العربية اعتمادا على ملاحظات ميدانية، ناقدا الكثير من الأنظمة التربوية والأساليب التعليمية في مختلف البلدان.

ولقد درس ابن خلدون طرائق وأساليب التعليم، مركزا على أنها لا بد أن تمر حسب المراحل التالية:

- التدرج والتكرار.
- عدم البدء بالتعريفات والقوانين.
- عدم الخلط بين المسائل.
- تجنب المختصرات في التعليم.
- عدم مطالبة المتعلم باستيعاب كل ما كتب في العلم.
- عدم الشدة على المتعلمين واستخدام الليونة والإقناع.

**II- جون ديوي:** يقال عنه أنه من أصحاب الاتجاه البراغماتي، ذلك لعدم تقبله لطرق التدريس التقليدية، والتي رأى أنها صارت لا تُعِدُ المتعلم لمواجهة متغيرات العصر. ومن أهم مؤلفاته كتاب المدرسة والمجتمع سنة 1898، الديمقراطية والتعليم 1916، حيث عبر هذا الكتاب عن المشكلات التربوية الواقعية التي كان يعاني منها المجتمع الأمريكي آنذاك.

ولقد ركز في كتابه المدرسة والمجتمع على ضرورة ربط المدرسة وطرق عملها ومناهجها بمتغيرات المجتمع وظروفه، مؤكدا على أن التربية ليست فقط الإعداد للمستقبل، بل هي الحياة كلها.

ويرى ديوي أن المدرسة لابد أن تكون أكثر فاعلية لتعد النشء إعدادا عمليا ومهنيا، وذلك بإدخال المهن والأعمال اليدوية إلى المناهج الدراسية لتنمية قوة المنهاج الدراسي وإعطاء التلميذ حافزا حقيقيا للتمدرس، وخبرة حقيقية للاتصال بالواقع الاجتماعي ومعايشته.

وبهذا، فقد ربط جون ديوي المدرسة بالتقدم الاجتماع، ورفع مكانة الموضوعات العملية والمهنية، ونظر إليها على قدم المساواة مع الموضوعات النظرية التقليدية.[19]

---

[18]- مربوحة بولحبال نوار، **محاضرات على علم اجتماع التربية**، دار الغرب، عنابة، 2005، ص30 – ص 34 ( بتصرف)
- نبيل عبد الهادي، **مقدمة في علم الإجتماع التربوي**، دار اليازوري، عمان، 2009، ص 18 – ص 21 ( بتصرف)

[19]- راجع: جون ديوي، **المدرسة والمجتمع**، ترجمة: أحمد حسن عبد الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة، ط3، بيروت، 1978.

**III - إيميل دوركايم**[20]: اهتم بالتنشئة الاجتماعية التي تقوم بها المدرسة، وتضمنت دروسه في علم اجتماع التربية 20 درسا، 18 منها لمعالجة التربية الأخلاقية، مركزا على: علمانية الأخلاق، عناصر الأخلاق، روح الانضباط، الارتباطات بالجماعات المجتمعية، استقلالية الإدارة، التربية الأخلاقية عند المتعلمين، الانضباط المدرسي، سيكولوجية المتعلم، العقوبة المدرسية، الطفل والغير، تأثيرات الوسط التربوي، تدريس العلوم، الثقافة الجمالية، التعليم التاريخي....

ويؤكد دوركايم على أن التربية ظاهرة اجتماعية، وأن معالجتها غير ممكنة دون الرجوع إلى الأسس الاجتماعية ودور الدولة وسلطة التربية ووسائل العمل وطبيعة البيداغوجيا ومنهجيتها.

ويرى دوركايم أن المدرسة تساهم في التنشئة الاجتماعية، كما تعمل على إدماج الفرد داخل المجتمع الكبير؛ فالمدرسة مجتمع مصغر تكيف المتعلمين ليتأقلموا مع المحيط المجتمعي وقيمه وعاداته وقوانينه وأعرافه وتشريعاته.

كما يرى كذلك أن الفرد يولد وهو لا يعرف اللغة ولا الأعراف ولا التقاليد والقيم، وحتى يصل إلى الطبيعة الاجتماعية لا بد أن يتعلم هذه الأشياء حتى يستطيع العيش مع المجتمع، مهتما بذلك بقضية التماسك الاجتماعي كإحدى القضايا التربوية.

ولقد اعتبر أن المدرسة من المؤسسات الاجتماعية الأساسية التي تستطيع المجتمعات بواسطتها أن تتغير من الأشكال البدائية إلى الأشكال المتحضرة. والهدف الأساس من التربية المدرسية هو التطبيع الاجتماعي للأجيال القادمة للتخلص من نزعاتها الفردية ورغباتها الذاتية، حتى يصبحوا أعضاء صالحين منتجين في حياتهم الاجتماعية.

المواضيع التي يدرسها علم اجتماع التربية:

- دراسة وتحليل الهيكل الاجتماعي داخل المدرسة، والذي يبرز من خلال أنماط وأشكال العلاقات بين الفاعلين داخل مجتمع المدرسة أو المؤسسة التعليمية عموما.
- دراسة وفهم وتحليل البيئة الاجتماعية داخل وخارج المؤسسة التعليمية، وتأثير وتأثر هذه المؤسسة بمتغيرات البيئة الخارجية.
- دراسة أشكال التفاعل الاجتماعي الناجم عن العملية التربوية، وذلك بالتركيز على تحليل الشخصية والسلوك للمعلمين، الإداريين والتلاميذ.
- دراسة وفهم الأدوار الاجتماعية للفاعلين داخل المؤسسة التربوية.
- مقارنة الأنظمة التربوية في بيئات وأزمنة مختلفة لفهم أوجه الشبه والاختلاف، وتأثير ذلك على الفعل التربوي.
- دراسة أشكال التربية المدرسية، النظامية وغير النظامية، والتربية اللامدرسية، ودراسة كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وكيف تسهم في التربية.

---

[20]- جميل حمداوي، **ميادين علم الاجتماع**،منشورات الألوكة، 2015، ص 113
- عبد الله بن عايض سالم الثبيتي، **مرجع سبق ذكره**، ص 36 – ص 40 ( بتصرف)

- فهم وتحليل علاقة المدرسة بالأسرة، المسجد، دور الثقافة... وكل مؤسسات التنشئة الاجتماعية.
- دراسة مخرجات التعليم، تدريب المعلمين في ميدان التربية، مركز ومكانة التربية في المجتمع....

**علم اجتماع الإتصال:** إن العلاقة الموجودة بين العلمية الاتصالية والمجتمع علاقة وطيدة، تجعل من الدارس يجزم بعدم وجود أحدهما دون الآخر، فلا اتصال دون مجتمع، ولا مجتمع دون اتصال. ولقد أدى هذا الترابط اللامتناهي إلى لفت الانتباه لضرورة دراسة هذه العلاقة كعلم قائم بذاته تحت مسمى علم اجتماع الاتصال.

**أولا: الأسس النظرية لعلم اجتماع الاتصال[21]:**

إذا ما أردنا التوقف عند مفهوم علم اجتماع الاتصال فإنه ذلك الميدان من علم الاجتماع الذي يجعل موضوعه الظاهرة الاتصالية. ويعرف كارل هوفلاند الاتصال على أنه: " العملية التي يقوم بمقتضاها الفرد القائم بالاتصال بإرسال مثير عادة ما يكون لفظياً لكي يعدل من سلوك الآخرين، وكذلك ديفيد بيرلوا بأن السلوك الاتصالي يهدف إلى الحصول على استجابة معينة من شخص ما، أو أن الاتصال هو الاستجابة المميزة للفرد نحو مثير معين."[22]

ويرتبط بروز علم اجتماع الاتصال كميدان مستقل في علم الاجتماع بوجود وسائل الاتصال الجماهيري والتي برزت أساسا مع بروز المجتمع الصناعي الحديث، الذي نشأت معه مجموعات اجتماعية جديدة ذات مصالح واحتياجات وأفكار بل وإيديولوجيات مختلفة، دفعت لدراستها وفهمها.

وبعد التأكد من وجود علاقة عضوية بين علم الاجتماع وعلوم الإعلام والاتصال، تحول البحث الميداني إلى إيجاد العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري والتغير الاجتماعي كعملية أساسية من العمليات الاجتماعية. فقد كانت وسائل الاتصال الجماهيري ولازالت ذات تأثير كبير في عملية التغير الاجتماعي.

ولقد جاءت المعالجات الأكاديمية في أوربا للظاهرة الإعلامية والاتصالية بعيدة عن دلالاتها الاجتماعية، ومرجعة إياها إلى سياقاتها التاريخية، وهو ما يستبعد السلوك الاجتماعي في فهم العملية الاتصالية.

ولم يحدث التحول في فهم الظاهرة الاتصالية بصورة سوسيولوجية إلا بعد الانفتاح على نتائج البحوث الإمبريقية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تميزت بتوجهها الوضعي. وما فتئت هذه الدراسات أن قطعت أشواطا هائلة في التطور من حيث المنهج والنظرية، وذلك بدراسة العملية الاتصالية بردها إلى السياق الاجتماعي الذي نشأت فيه.

ويمكن القول أن البحوث الأولى لهذا الميدان من علم الاجتماع قد ارتبطت بأسماء عديدة أمثال: تشارلز كولي Charls Cooley، جورج هربرت ميد G.H.Mead ، روبرت بارك R. E. Bark، هارولد لازويل H. Lasswell، كيرت ليفين Kurt Lewin وكارل هوفلاند C.L. Hovland

---

[21]- محمد الجوهري وآخرون، **علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص 3 – ص 15

[22]- محمد عبد الحميد، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص18.

**ثانيا: الفرق بين علوم الإعلام والاتصال وعلم اجتماع الاتصال:** يدرس علم اجتماع الاتصال العملية الاتصالية باعتبارها ظاهرة اجتماعية تنطبق عليها جميع خصائص الظاهرة الاجتماعية أو الواقعة كما حددها دوركايم. بينما تهتم علوم الإعلام والاتصال بالحدث وما تأثيره على الجماهير، سواء تم نقل هذا الحدث في شكل صورة أو معلومة أو إشاعة....

كما تتركز جهود علوم الإعلام والاتصال نحو الرسالة الاتصالية والإعلامية باعتبارها صناعة إنتاجية لها تأثيراتها على المتلقي، بينما يهتم بها علم اجتماع الاتصال كواقعة تنتج أساسا من المجتمع وتؤثر في عملياته الاجتماعية.

**ثالثا: موضوع علم اجتماع الاتصال:** يهتم علم اجتماع الاتصال بدراسة العملية الاتصالية باعتبارها ظاهرة اجتماعية، من حيث كونها إنسانية، عامة ومنتشرة، مستمرة ومتكررة وملزمة أو قهرية. فالاتصال ظاهرة لا يخلو منها أي مجتمع كان، وبالمثل، لا يمكن لأي مجتمع أن ينشأ ويتكون ويستمر دون وجود العلمية الاتصالية بين أعضائه. وبذلك يكون موضوع هذا الميدان تلك الجماعة من الأفراد الذين تجمع بينهم سمات اتصالية تجعل منهم مكونا متجانسا.

والقول بدراسة هذا الميدان من علم الاجتماع للظاهرة الاتصالية على أنها اجتماعية، لا يجب أن ينسينا تلك الأداة أو الأدوات التي تتم بها العلمية الاتصالية، ذلك أن الاتصال لا يكون دوما مباشرا من فرد لآخر أو من جماعة لأخرى، بل قد تستخدم فيه أدوات ووسائط تفرضها الضرورات الاجتماعية، لذلك ف" إن سوسيولوجيا الاتصال تهتم قبل أي صيغة اتصالية أخرى بوسائل الاتصال الجماهيري على حساب الاتصال بين – الفردي، والسبب يعود إلى أهمية وسائل الاتصال في المجتمع."[23]

**رابعا: التفاعلية الرمزية ودراسات علم اجتماع الاتصال**[24]: تؤكد التفاعلية الرمزية على قدرة الإنسان على خلق الرموز واستخدامها. والمعروف أن تركيز هذه النظرية كان منصبا حول أهمية اللغة في التفاعل الاجتماعي والتفكير، وكذا حول دور المعاني والدلالات في فهم وتفسير السلوك الإنساني.

فالاتصال الإنساني بالنسبة لهذه النظرية لا يمكن فهمه إلا انطلاقا من فهم السلوك الإنساني، الذي ينشأ نتاجا لعلاقة بين طرفي خلال مدة زمنية معينة، وهي علاقة تفاعلية تتم انطلاقا من دوري طرفي الاتصال.

والواقع أن السلوك نحو الشيء أو الشخص يعتمد أساسا على المعنى الذي يحمله بالنسبة لصاحب السلوك، وهذا المعنى ناجم أساسا من التفاعل الاجتماعي بين الأشخاص واحتكاكهم بعضهم ببعض. ونتاجا لهذا التفاعل، تتشكل لدى الأشخاص صور ذهنية عن الآخرين، وهي صورة لا تعكس بالضرورة حقيقة الطرف الآخر بقدر ما تعكس الانطباع الشخصي عنه، وهي الصورة الرمزية التي يتم استنادا إليها تقييم الأشخاص بعضهم لبعض.

---

[23]- جوديت لازار، **سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري**، ترجمة علي وطفة وهيثم سطايحي، دار الينابيع، لبنان، 1994، ص 22

[24]- عبد الله محمد عبد الرحمن، **النظرية في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 54- ص56.
إحسان محمد الحسن، **النظريات الاجتماعية المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة**، دار وائل، عمان، 2005، ص48.

ومن أشهر رواد التفاعلية الرمزية نجد **هربرت ميد** H.Mead الذي اهتم بدراسة تقييم الأنا للأنا وتقييم الآخر للأنا. فبعد مرور فترة زمنية على التفاعل مع الأشخاص، تتكون لديهم صورة ذهنية تجعلهم يعتبرون الطرف الآخر رمزا ذا معنى، وانطلاقا من هذا المعنى يتم تقييم الفرد لنفسه وتقييم الآخر له.

ومن تلامذة ميد نجد هربرت بلومر H. Bloomer الذي أضاف على أفكار ميد أن التفاعل ليس مشروطا بوجود أشخاص، بل قد يتم التفاعل بين أطراف من طبيعة مختلفة عن الأشخاص، وهذه الأطراف قد تكون مؤسسة، مجتمعا محليا، طبقة اجتماعية.